

وسطية الخطاب السلفى بمسألة التفكير

"دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنموذجا"

إعداد

د / محمد بن عبد العزيز القطاونة

أستاذ العقيدة والدعوة المساعد بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الآداب - جامعة الملك فيصل

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص

وسطية الخطاب السلفي بمسألة التكفير دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنموذجا -

إعداد محمد بن عبد الحميد القطاونة

أستاذ العقيدة والدعوة المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب جامعة الملك فيصل

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

تعد قضية التكفير إشكالية عويصة عانت منها الأمة الإسلامية منذ بدء نشوئها إلى يومنا هذا، وما التاريخ الإسلامي إلا خير شاهد على كل الدماء التي أريقَت بسبب تبني منهج التكفير، فباسم التكفير قُتل المسلمون بعضهم بعضاً بعد أن كفر بعضهم بعضاً. باسم التكفير قُتل الصحابة والتابعون وسلف الأمة. باسم التكفير كُفر أبو بكر وقتل عمر و عثمان وعلي رضي الله عنهم. أمام هذه الإشكالية يخطئ كثير من الباحثين حين يلصقون الغلو والتطرف ولغة التكفير بالخطاب السلفي - المنضبط - على امتداد تاريخه ابتداءً بأصحاب الحديث أمثال مجاهد، وسفيان الثوري، ومالك بن أنس، وعبد الله بن المبارك، وسفيان بن عيينه، وأحمد بن حنبل، وابن تيمية، وصولاً إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ويخطئ هؤلاء أيضاً حينما ينسبون الوسطية والاعتدال والعقلانية إلى أصحاب الخطاب العقلي ابتداءً من الخوارج والمعتزلة والباطنية ووصولاً إلى معتزلة العصر وخوارجه ومرجئته الداعين إلى العصرنة بمفهوم عقلي قاصر، فذهب أصحاب هذا المنهج إلى إلصاق الفكر التكفيري المعاصر جزافاً وبغير موضوعية ودليل، بأصحاب المنهج السلفي وداعيته الشيخ محمد بن عبد الوهاب فرموا الدعوة وأصحابها، متناسين المنهج الوسطي القرآني الذي تبنته الدعوة. وما دفع هؤلاء إلا جهلهم بمنهجية الدعوة الوسطية، أو تهاونهم بمسائل التوحيد التي عليها عماد الدين وبيضته. وكما يذهب المنطقة بقولهم بأن الأشياء لا تعرف إلا بأضدادها حاولت هذه الدراسة المقارنة بين الفكر الخارجي القديم والحديث صاحب الصدارة في الفكر التكفيري ودوره العقدي والتاريخي والسياسي في هذه المسألة، ودور الفكر السلفي صاحب الصدارة بالوسطية والاعتدال ودوره العقدي والتاريخي والسياسي في مسألة التكفير مسلطاً الضوء على مرحلة الدعوة السلفية عند الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ودوره في تكريس الوسطية والاعتدال في مسائل التكفير

المقدمة

في خضم الجدل الدائر في الأوساط العلمية حول قضية التكفير والتي باتت خطراً يهدد سمعة الإسلام ودعائه وأصبحت شماعة يعلق عليها أعداء الإسلام حقدهم ضد الإسلام والمسلمين، يرى بعض من الباحثين والكتاب بأن الخطاب السلفي المتمثل بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هو صاحب خطاب تكفيرى، وإذا أردنا أن نكون موضوعيين فلا بد لنا من التمييز بين أصحاب هذا الرأي فالأولون هم من لم تتعمق لديهم فكرة التمييز بين الخطاب الإسلامي الوسطي* الذي دعا إليه القرآن الكريم والسنة النبوية في مسألة التكفير، إما لجهل بهم أو لتقصيرهم في البحث والدراسة وفريق آخر أشد خطراً من الأول وهو من يعلم أن المنهج السلفي صاحب منهج القرآن والسنة ولكن لإثارة الشبهة والتقليل من شأن هذا الخطاب السلفي الوسطي لهذه الدعوة ولصاحبها ورميهم بتهمة تكفير المسلمين بالجملة. ولم يكتفوا بذلك بل روجوا إلى الفرق الإسلامية كالمعتزلة والخوارج والقرامطة بدافع أنها فرق استخدمت العقل وشنّت هجوماً على الخطاب السلفي بكونه خطاباً جامداً يقف عند النصوص وما أن بدأت فتنة التكفير حتى بدأ هؤلاء بتوجيه سهامهم إلى دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب برميها ورمي الاتجاه السلفي المنضبط بتهمة تكفير الناس .

لذلك جاءت هذه الدراسة لتبين البنية والأصول في قضية التكفير في خطاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وبين دعاة الخطاب التكفيرى لتتجلى بذلك الشبهة وتظهر الحقيقة، فدراستنا هذه دراسة

* الوسطية في المنظور القرآني هي صفة رئيسة جامعة للأمة الإسلامية، بل إنها إرادة الله لهذه الأمة، "وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس" البقرة، آية: ١٤٣، وإذا كانت الوسطية تعني الانحياز إلى طرف ضد طرف وقطب من أقطاب الظاهرة دون القطب الآخر فإنها في المفهوم الإسلامي ليست التوسط المعزول عن الطرفين القطبيين والمغايرة لهما تمام المغايرة، إنها موقف جديد وثالث لكنه لا يغيّر قطبي الظاهرة المدروسة وإنما يجمع بالنظرة الشاملة كل ما يمكن جمعه ويؤلف كل ما يمكن تأليفه من قطبي المدروسة، إنها ليست نقطة رياضية ثابتة تتوسط قطبي الظاهرة المدروسة، وإنما هي موقف جديد يتألف من عناصر الحق والعدل في القطبين معاً، إنها العدل والتوازن بين القطبين وليست الانحياز لواحد منهما ولا المغايرة التامة لهما، ذلك هو معناه الذي تحذره الآية الكريمة: "جعلناكم أمة وسطاً". فالكرم توازن وعدل بين الشح وبين الإسراف والتبذير وفيه من تدبير الشحيح ومن عطاء المسرف القدر الذي يمكنه جمعه وتأليفه، والشجاعة وسط بين الجبن والتهور. هذه هي الوسطية في المنظور القرآني التي نعيها في دراستنا هذه. انظر: أزمة الفكر الإسلامي الحديث، محمد عمارة، دمشق: دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.

مقارنة بين دعاة الخطاب التكفيري الممثل بالخوارج ودعاة الخطاب السلفي الممثل بالشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته .

لذلك اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة.

المبحث الأول: الظروف والملابسات التي نشأت فيها كلاً من الفرق التكفيرية ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الأوضاع الاجتماعية والسياسية والفكرية .

• نشأة الخوارج والتعريف بهم.

• نشأت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

المبحث الثاني: الأصول التي يعتمد عليها كلاً من الشيخ محمد بن عبد الوهاب والفرق التكفيرية.

• أولاً: تكفير صاحب الكبيرة.

• ثانياً: علاقة الخوارج بالسلطة.

• منهج دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسألة التكفير.

• التجديد في الخطاب السلفي.

• الأصول التي اعتمد عليها الخطاب السلفي عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

المبحث الثالث: التصالح بين السلطة والدعوة لتطبيق أحكام الدعوة:

• اتصال الشيخ محمد بن عبد الوهاب بحاكم الغيبة.

• اتصال الشيخ بحاكم الدرعية الأمير محمد بن سعود.

المبحث الأول :

الظروف والملابسات التي نشأت فيها كلاً من الخوارج ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الأوضاع الاجتماعية والسياسية والفكرية .

نشأة الخوارج والتعريف بهم:

في بداية دراستنا هذه المقارنة بين فكر الخوارج وحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا بد علينا أولاً من التعريف بالفكرين ونشأة كل منهما والظروف والملابسات التي رافقت نشأة كل منهما، فمعرفة الواقع الذي نشأت به الأفكار هـ جزء من معرفة هذه الأفكار، وكل دراسة لا تراعي الواقع الزمني والمكاني لفكرة معينة هي دراسة مجتزأة منقوصة.

عرف أهل العلم الخوارج بتعريفات منها ما بينه أبو الحسن الأشعري أن اسم الخوارج يقع على تلك المائفة التي خرجت على رابع

الخلفاء الراشدين علي بن أبي طالب رضي الله عنه- وبين أن خروجهم على علي هي العلة في تسميتهم بهذا الاسم حيث قال رحمه الله تعالى: والسبب الذي سموا به خوارج خروجهم على عليّ لما حكم^(١).
أما ابن حزم رحمه الله:-

١. فقد بين أن اسم الخارجي يتعدى الحي كل من أشبه أولئك النفس الذين خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه- وشاركهم في معتقدهم، فقد قال: ومن وافق الخوارج من أفكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر والقول بالخروج على أئمة الجور وأن أصحاب الكبائر مخلصون في النار، وأن الإمامة جائزة في غير قریش فهو خارجي وإن خلفهم، فيما عدا ذلك مما اختلفت فيه المسلمون وخالفهم فيما ذكرنا فليس خارجياً^(٢).

وأما الشهرستاني:

فقد عرف الخوارج بتعريف عام اعتبر فيه الخروج على الإمام الذي اجتمعت عليه الكلمة وعلى إمامته الشرعية خروجاً في أي زمان كان حيث قال في تعريفه لهم: كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أم كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان^(٣).

وقال ابن حجر رحمه الله- معرفاً بهم:

والخوارج الذين أنكروا على علي التحكيم وتبرؤوا منه ومن عثمان وذريته وقتلوا تكفيرهم منهم الغلاة^(٤).
إذاً نحن أمام تعريفات كثيرة للخوارج تكاد تكون في إطار السياسة وليس إلا السياسة من خلال الخلاف في مسألة الإمامة والتي لا تعتبر مسألة عقدية يكفر من يخالفها. ولكن من خلال العرض الذي سنعرض للواقع التاريخي والسياسي والاجتماعي سنجد أن السياسة لها

(١) مقالات الإسلاميين، الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/١٩٦٩م ج ١/ص: ٢٠٧.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، الامام ابو محمد علي الظاهري، تحقيق: د. محمد ابراهيم نصر، دار عكاظ : المملكة العربية السعودية. الطبعة الاولى. عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ٢/ج/ص ١١٣.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني، الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، تحقيق : عبد العزيز محمد الوكيل ، دار الفكر. بيروت .

(٤) هدي الساري في مقدمة فتح الباري، ص ٤٥٩.

دور كبير بل كانت هي الشرارة التي توجب مثل هذه المسائل وتخرجها من الفروع إلى الأصول وذلك إما بعلم تلك الجماعات الخارجية أو بجهلها بتلك الأصول. وهذا ما سنستنتجه من خلال الحديث عن نشأة هذه الجماعة

نشأت الخوارج :

قبل سنة ٣٧هـ وهو العام الذي شهد نشأة فرقة "الخوارج" كانت الصراعات والانقسامات التي طرأت في ساحة حياة الجماعة الإسلامية ذات طابع سياسي وقفت خلفها وأثمرتها عوامل اجتماعية وقبيلية وإقليمية، ووقفت عند حدود الطابع السياسي، دون أن تضفي على مبادئها وأهدافها ثياباً أو طابع أو صبغة دينية نابعة من العقيدة الإسلامية، كدين.

فلم يزعم الذين اختلفوا على خلافة أبي بكر الصديق ولا الذين اضطرعوا حول تصرفات عثمان بن عفان أن واحداً من فرقاء هذا الصراع والخلاف قد مرق عن الدين، أو أن الإسلام، كدين قد أصبح وقفاً على موقف فريق دون فريق - كان خلافاً سياسياً أو اجتماعياً، تسهم في تغذيته عوامل قبلية أو إقليمية، ويقوم بين أبناء الدين الواحد، وأهل القبلة الواحدة، دون أن يزعم طرف من أطرافه أن له صبغة من الدين.

أما عند الخوارج فالأمر يختلف فلقد كان انشقاقهم على عهد خلافة علي بن أبي طالب سنة ٣٧هـ، وإبان صراعه مع معاوية بن أبي سفيان وأنصاره، نقطة تحول في الماهية والطبيعة التي أضيفت على الصراعات التي حفلت بها حياة العرب المسلمين. فهم لم يققوا بخلافهم مع خصومهم عند الحدود السياسية، بل أضفوا عليها طابعاً من الدين، وذلك عندما زعموا أنهم هم المؤمنون، وأن من عداهم قد مرق من الدين مروق السهم من قوسه!... وزادت الطامة وعمت البلية عندما استخدم خصومهم ذات السلاح، فأصبحت سائر فرق الإسلام، تقريباً تضفي على مبادئها السياسية وأرائها الفكرية والاجتماعية صبغة الدين وعقائده، انسياقاً وتملقاً للعامّة في استجلاب تأييدهم في أغلب الأحيان، فانطلقت خلافتات الساحة الإسلامية بالطابع الديني عندما انتقل الجميع بما هو "سياسي" إلى ساحة ما هو "دين" وهذا الغلو والانحراف الذي نشأ مع نشأة فرقة الخوارج، ولا زال يعاني منه المسلمون إلى اليوم.

ولعلّ قسوة الصراع، الذي انشق الخوارج أثناءه، ووضوح مخاطر خصومهم - وخاصة الدولة الأموية - على قيم الذين مثله العليا

لعل ذلك أن يكون واحداً من أسباب اختلاط "الخطأ" عندهم "بالكفر" وما هو "سياسة" بما هو "دين" أو بما هو أصول وبما هو فروع.

وإذا تعمقنا أكثر نجد أن النشأة الأولى لفريقة الخوارج قد حدثت على يد كوكبة من "القراء"^(١)، أي حفظه القرآن، الذين أضافوا إلى حفظة زهداً وورعاً ونسكاً..... وهؤلاء "القراء" كانوا علماء الأمة، قبل أن تعرف الحياة الفكرية "الفقه" و "الفقهاء" كان القراء "حفظة" للقرآن، لم يبلغ بهم العلم، بعد إلى المدى الذي يجعلهم يغيصون إلى ما وراء ظواهر الآيات، وتلك سلبية لا بد وأن تقعد بأهلها عن القدرة على السباحة في بحر السياسة والسياسيين.

إن قدرات هؤلاء "القراء" على التقييم الأدق للصراعات السياسية، وخاصة صراع علي بن أبي طالب وأهل العراق ضد معاوية بن أبي سفيان وأهل الشام، تجعل المرء يتأمل رأي ابن خلدون في علاقة العلماء بالسياسة ومشكلاتها... فلقد عقد فيلسوف التاريخ والحضارة والاجتماع، في المقدمة، فصلاً جعل عنوانه: "فصل في أن العلماء من البشر أبعد عن السياسة ومذاهبها" تحدث فيه عن مثالية العلماء عندما ينطلقون من "الكليات" و "المجردات" الذهنية" فيحكمون بها على الواقع، أو يتصورونه وفقاً لها، على حين يميز أهل "السياسة" حتى لو كانوا بسطاء في العلم- بالانطلاق من "الواقع" إلى "الفكر" و "التصورات". وبعبارة ابن خلدون، فإن السبب في كون العلماء عمومًا، هم أبعد الناس عن السياسة، ومذاهبها و "أنهم معتادون النظر الفكري والغوص على المعاني وانتزاعها أي وصلها- من المحسوسات، وتجديدها في الذهن أموراً كلية عامة... ويطبقون الكلي على الخارجيات... ويتفرع عندهم ما في الخارج عما في الذهن، والسياسة يحتاج صاحبها إلى مراعاة ما في الخارج أي الواقع الخارجي عن الذهن- وما يلحقها من الأحوال ويتبعها، فإنها خفية، ولعل أن يكون فيها ما يمنع من إلحاقها بشبه أو مثال وينافي الكلي الذي يحاول تطبيقه عليهم"^(٢). هذا ما ذهب إليه ابن خلدون ولعل هذا بالضبط ما كان يعانيه الخوارج في مرحلة لم تكتمل فيها العقلية السياسية الإسلامية إذ كانت في أول تجربته سياسية لها

(١) تاريخ الأمم والملوك، الطبري-طبعه دار المعارف/ القاهرة، ج ٥، ص ٦٦ - بوصف الخوارج بأنهم "أعاريب بكر وتميم".

(٢) المقدمة، ابن خلدون، ص ٤٥٠-٤٥١، طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢هـ.

نستطيع أن نقول أنه عند الخوارج وبالخوارج انتقل الخلاف الفرعي السياسي إلى مستوى الخلاف الأصولي العقدي، وبدل من أن يراه في إطار "الخطأ" وضعه في إطار الخطيئة فلم يكتف بالمعارضة السياسية وإنما أعلنوا رفضهم للصلاة خلف علي رضي الله عنه . ولم تكتفي الخوارج بذلك وبعد إن كان المسلمون فريقين: أهل العراق يقودهم علي رضي الله عنه، وأهل الشام يقودهم معاوية رضي الله عنه. ظهر فريق ثالث يكفر كل من الفريقين كانت تلك هي النشأة الأولى لفرقة الخوارج أولى الفرق في التاريخ الإسلامي .

نشأت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله
أولاً: الأوضاع السياسية إبان ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

لا يخفى على من يدرس التاريخ أن الشيخ قد عاش بالفترة ما بين سنة ١٥ ومائة بعد الألف "١١١٥هـ" إلى سنة ٦ بعد المائتين والألف "١٢٠٦هـ" وهذا القرن يعد من القرون المظلمة التي ساد فيها الجهل والغواية وكانت فيه الخلافة العثمانية على وشك الانقراض فخلف من بعد الزعماء المصلحين خلف أضاعوا الإسلام واتبعوا الشهوات وحكموا الشعوب بالاستبداد ولم يهتموا بأمر من أمور الإسلام. أما نجد عهد الدعوة فقد ظلت محافظة على استقلالها ولكنها بقيت مجزئة بالقبليّة التي كانت تعصف استقرارها نتيجة للحروب بقين قبائلها. ولهذا لم تجد الدولة العثمانية ما يغريها للتوسع في نجد مع أن نجداً أصبحت مُحاطة بالأراضي التي تحت نفوذ العثمانيين من كل جهة تقريباً لذلك لم يكن من المتوقع أن يدخل العثمانيون تدخلاً مباشراً في نجد، وإنما المتوقع تدخل القائمين بالأمر في المناطق المجاورة ولا سيما الأحساء، والغريب أن التدخل لم يأتي من الأحساء وإنما جاء من قبل أشرف الحجاز إما لحصول على الغنائم أو لجباية الضرائب السنوية^(١).

مما سبق يتضح أن "نجد" قبل حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت مجزأة سياسياً، مضطربة أمنياً، ولم تتوفر عوامل بروز قيادة داخلية مؤجرة لها، كما لم ينير فيها لوحده إسلامية أكبر في

(١) الدولة السعودية الأولى، عبد الرحيم عبد الرحمن، ص ٢٦. نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عبد الله الصالح العثيمين، مجلة الدارة العدد ٤، السنة الأولى، ذو الحجة ١٣٩٥ ديسمبر ١٩٧٥م، ص ٦٩.

الجزيرة العربية، أو من خارج الجزيرة، وذلك لأن الدولة العثمانية وقتئذ كانت تمر بأسوأ حالات ضعفها، مما أغرى بها دول أوروبا النصرانية التي بدأت تشن عليها الغارات، والتي توالى في مقبل السنوات حتى غدت الدولة العثمانية رجل أوروبا المريض^(١).

ثانياً: الأوضاع الفكرية إبان ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

إذا كانت المرحلة الزمنية السياسية تمر باضطراب وعدم استقرار فإن الوضع الفكري لم يكن أحسن حالاً فقد عصفت بالأمّة مرحلة عصبية أثرت على أصول الإسلام وفروعه تبين لنا مصادر التاريخ الأوضاع الفكرية السائدة في العالم إبان ظهور دعوة الشيخ محمد والتي كان لها دور بارز بالتأثير على خطاب الدعوة.

فصاحب كتاب الضياء الشارق يصور لنا ذلك بقوله: "قد خلع الناس" ربقة التوحيد والدين، وجدوات واجتهدوا في الاستقامة والتعلق بغير الله تعالى من الأولياء والصالحين والأصنام والأوثان والشيّاطين" "وكثير منهم يعتقد النفع في الأحجار والجمادات، ويتبركون بالآثار ويرجون منها ما القبول في جميع الأوقات"^(٢). وصدق قوله تعالى: "نسوا الله فأنسهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون"^(٣).

وهذه الصورة التي يقدمها لنا الشيخ سليمان بن سحيمان لم تكن قاصرة على مصر دون مصر، أو على سهل دون نجد. وكلها تكاد تكون شاملة عامة في كثير من البلاد المسلمين إلا من عصم ربي.

والقارئ لكتاب الطبقات الكبرى للشعراني وغيره من الكتب التي كانت متداولة في ذلك العصر، يرى عجباً من العجب، وكفراً بواحاً، من ذلك ما يقوله الشعراني:

"إن الله تعالى وكّل بقبر كل ولي ملكاً يقضي حاجة من سأل ذلك الولي".

(١) الثورة الوهابية، عبد الله الفطيمي، مصر: ١٩٣٦هـ/ ١٩٣٦م. ص (٦٩-٧٠). انظر: لمع

الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، حسين بن جمال بن أحمد الريكي، تحقيق: عبدالله الصالح العثيمين، المملكة العربية السعودية: دار الملك عبد العزيز للنشر، ١٤٢٦هـ.

(٢) الضياء الشارق: الشيخ سليمان بن سحيمان، القاهرة: مطبعة المنار، الطبعة الثانية، ص: ٧٠.

(٣) سورة الحشر آية: ١٩.

ويروي الشعراني أيضاً عن شمس الدين الحنفي عند الكلام على ترجمته أنه قال في فرحة قومه: "من كانت له حاجة فليات قبري، ويطلب أن أقضيها له، فإنما بيني وبينه ذراع من تراب"^(١).

أما في أرض نجد خاصة فيحدثنا ابن غنام حديثاً مستفيضاً، ويصور لنا الحالة التي وصلت إليها من الشرك والإغراق في الوثنية، فيقول:

"فقد كان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم وهو مقيم، كان الناس يقصدون قبر زيد بن الخطاب في الجبلية يدعونه لتفريج الكرب، وكشف النوب، وقضاء الحاجات وكانوا يزعمون أن في تربة في الدرية فيور بعض الصحابة، فعكفوا على عبادتهم وصار أهلها أعظم في صدورهم من الله خوفاً ورهبة، فتقربوا إليهم، وهم يظنون أنهم أسرع الحي تلبية حوائجهم من الله فكانما عناهم الله تعالى بقوله: "أُنْفِكَأءالهة دون الله تريدون"^(٢).

وكانوا يأتون في شعيب تمييزاً من المنكر ما لا يعهد مثله: يزعمون أن فيه قبر ضرار ابن الأزور، وذلك كذب محض وبهتان مثله لهم إبليس وصوره عليه من غير أن يشعروا. ويقول ابن غنام أيضاً:

"وكان عندهم رجل من الأولياء اسمه (تاج) سلكوا فيه سبيل الطواغيت، فصرخوا إليه النذور وتوجهوا إليه بالدعاء، واعتقدوا فيه النفع والضرر، وكانوا يأتونه نصحاء سندتهم أفواجاً، وكان هو يأتيهم من بلدة الخرج إلى الدرية لتحصيل ما تجمع من النذور والخراج، وكان أهل البلاد المجاورة جميعهم يعتقدون فيه اعتقاداً عظيماً فخافه الحكام وهاب الناس أعوانه وحاشيته فلا يتعرضون لهم بما يكرهون. ويدعون فيهم دعاوى فظيعة. وينسبون إليهم حكايات قبيحة وكانوا لكثرة ما تناقلوها وأذاعوها يصدقون ما فيها... فزعموا أنه أعمى وأنه يأتي من بلدة الخرج من غير قائد يقوده، وغير ذلك من الحكايات. والاعتقادات التي خلوا سببها عن الصراط المستقيم"^(٣).

مقارنة

(١) الطبقات الكبرى المسمى بلواحق الأنوار في طبقات الأخبار، عبد الوهاب الشعراني، القاهرة مكتبة محمد علي صبيح، بدون طبعة، ص: ١٠٣.

(٢) سورة الصافات آية: ٨٦.

(٣) تاريخ نجد للشيخ حسين غنام من ص ١١-١٢.

وبرؤية مقارنة بين نشأت الخطابين الفكريين من الخوارج وحركة الشيخ نقول بأن الظروف والملابسات لكل منهما مختلفة كل الاختلاف فمرحلة الخلافة الإسلامية بزمان عثمان بن عفان كانت خلافة راشدة محافظة على أصول الإسلام وفروعه ولا يخلو الأمر من الخلاف السياسي الذي نشب بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، ولكن أصول الإسلام كانت مصانة إذ لم يظهر في الأمة ما يرجعها إلى حضيرة الشرك كما في إبان ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. إذ المرحلة الزمنية والظروف والملابسات في زمن ظهور الخوارج لم تستدعي استخدام لغة التكفير بل استغل الخطاب التكفيري لدعم القضايا السياسية في تلك الفترة وحشدت النصوص والأقوال من أجل ذلك ولا نحصر هنا استخدام التكفير من أجل المسائل السياسية فحسب بل كانت المسألة الواحدة تتبدل الدوافع في استخدامها فمرة تكون بدوافع دينية بحتة ومرة تكون بدوافع سياسية بحتة^(١).

بينما الأمر عند دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله- فيختلف كثيراً، فلقد انتشرت البدع والخرافات والشركيات التي كادت أن تفكك ببيضة الإسلام وهو التوحيد والتي كانت أوجب استخدام هذا الخطاب بضوابطه عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومع ذلك سنجد أن الدعوة استخدمت خطاب التكفير ملتزمة بمنهج أهل السنة والجماعة وهذا ما سنعرض له من خلال المبحث التالي .

المبحث الثاني

الآراء الفكرية عند كل من الخوارج

ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

بعد التعرف على الظروف السياسية والاجتماعية والفكرية التي نشأة فيها كل من الخوارج ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، نستطيع الآن أن نكون أقرب إلى آراءهم وأفكارهم ومعتقدهم على العموم وفي مسألة التكفير تحديداً أعلننا نستجلي اللبس بين كل من الخطابين الفكريين، مبتدئين بالخوارج،

(١) للتوسع في استخدام المسائل العقيدية لأغراض سياسية انظر: فخر الدين الرازي وبوره في تطوير المدرسة الأشعرية فلسفة علم الكلام، محمد بن عبد الحميد القطاونة، رسالة دكتوراة ٢٠٠٨.

تبلورت مقالات الخوارج وتحددت الأصول العامة لفرقتهم بعد مرحلة غير قصيرة من النشأة، في مجرى الأحداث والصراعات ضد الخصوم، وأيضاً في مجرى الصراعات الداخلية التي قسمت الفرقة الرئيسية إلى عدة فروع، فوضح ذلك من خلال عدد من الأصول التي اجتمعت عليها وأجماع عامة الخوارج وأولى هذه الأصول.

أولاً: تكفير صاحب الكبيرة:

إن الخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة ويحكمون بخلوده في النار^(١)، وقد استدلوا على معتقدهم ذلك بأدلة:

أ. استدلوا بقوله تعالى: "بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون"^(٢).

فقد استدلوا بهذه الآية على تخليد أصحاب المعاصي في النار، وقالوا: أنه لا أمل للعاصي الذي يموت على معصيته في رحمة الله، فزعموا أن الخطيئة تحيط بالإنسان، فلا يبقى له معها حسنة مقبولة، حتى الإيمان فإنها تذهب، ولكن الأمر عكس ما ذهبوا إليه، وهذه الآية نفسها ترد مذهبهم، فقد دلت على أن من أحاطت به خطيئته فإنه يخلد في النار، وليس هناك خطيئة تحيط بالإنسان، وتحيط أعماله ويخلد بسببها في النار إلا الكفر والشرك بالله، ويؤيد هذا أن تلك الآية نزلت في اليهود، وهم قد أشركوا بالله وحادوا عن سبيله، ومما يبطل زعمهم أيضاً أن الله قد أوضح سبحانه أن مجرد كسب السيئة لا يوجب الخلود في النار، بل لا بد أن تكون سيئة محيطية به، قبل هي شرك، روي هذا عن ابن عباس رضي الله عنه - وروي عنه أن معنى هذه الآية: من كفر حتى يحيط به كفره، فلا تقبل له حسنة، وهذا أولى لما ثبت في السنة تواتراً من خروج عصاة الموحدين من النار^(٣).

ويمكن أن نحمل الرد على الخوارج في تكفيرهم لصاحب الكبيرة، وذلك من عدة وجوه:

أ. أن مرتكب الكبيرة لو كان كافراً لكان حكمه حكم غيره فمن كفر بعد إيمانه:

(١) مقالات الإسلاميين، الأشعري، ج ١، ص ١٦٧ / البغدادي، الفرق، ص: ٧٤ / الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ١١٥-١٢١.

(٢) البقرة آية: ٨١.

(٣) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ج ١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣/٥١٩٨٣م، بدون طبعة، ص: ١٠٥.

وهو أن يكون مرتدّاً يجب قتله، لقوله صلى الله عليه وسلم: "من يبدل دينه فاقتلوه"^(١). ولقوله صلى الله عليه وسلم: "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمد رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والتارك لدينه المفارق للجماعة"^(٢). فهذان الحديثان وغيرهما من أدلة حكم المرتد، تفيد أن كل من كفر بعد إيمانه فحكمه القتل، لكن نصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يُقتل، بل يُقام عليه الحد، كما قال تعالى: "الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين"^(٣).

وقال تعالى: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله ورسوله والله عزيز حكيم"^(٤).

ثم أيضاً أنه لو كان صاحب الكبيرة كافراً لوجب التفريق بينه وبين زوجته المؤمنة والمرأة كذلك، وكذلك أيضاً فإنه لا يرث مسلماً ولا يرثه مسلم، ولكن التي صلى الله عليه وسلم- يعهد عنه أنه فرق بين من فعل معصية وبين زوجته، ولم يحرم من ميراثه من له الإرث منه، وكذلك صاحبه والتابعون لهم بإحسان فثبت يقيناً أنه غير كافر.

ب. أن الله سبحانه وتعالى سمى أهل الكبائر مؤمنين مع ارتكابهم لها:

في قوله تعالى: "وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين، إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون"^(٥).

(١) البخاري، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الامام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، كتاب الجهاد، دار التقوى للتراث، بدون ط، ج ٦، ص: ١٤٩.

(٢) البخاري، فتح الباري، كتاب الديات، ج ١٢، ص: ٢٠١.

(٣) سورة النور، الآية: ٢.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣٨.

(٥) الحجرات، الآيات: ٩-١٠.

قال ابن كثير رحمه الله: فسماهم مؤمنين مع الاقتتال، وبهذا استدلل البخاري وغيره على أنه لا يخرج عن الإيمان بالمعصية وإن عظمت لا كما يقول الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة ونحوهم^(١). وإذا جننا للنظر في هذه الأصل وجذوره عند الخوارج نجد أنه تبلور في الصراع الفكري، بل المسلح، الخلافة الأموية، وخاصة خلال الثورة التي قادها الأزرق، تحت قيادة نافع بن الأزرق، عندما طرقت أحداث الصراع ضد الدولة الأموية على بساط الحركة الفكرية والقضائية التي بدأت بسؤال: هل الحكام الذين ارتكبوا كل هذه الكبائر وافترقوا ويقتربون كل تلك المظالم، واجترحوا ويجترحون كل هذه السيئات – هل هم مؤمنون؟... أم كافرون؟... أم منافقون؟... أم هم في منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان؟... ولقد انحاز الخوارج أنساقاً مع غلوهم النابع من مثالياتهم المغالية إلى القول بالتكفير، فبدأوا بتكفير الدولة، ثم عموه فشمّل سائر المخالفين، والغلاة منهم قد جعلوه كفر شرك، أما المعتدلون، فقالوا: أنه، فقط كفر نعمة، أي جود لأنعم الله.

ثانياً: علاقة الخوارج بالسلطة

الثورة والخروج على الحاكم: أجمع الخوارج على وجوب الخروج "الثورة" على أئمة الجور والفسق والضعف أي على وجوب الثورة والثورة المستمرة بتعبيرنا الحديث.

فعندهم أن الخروج "يجب" إذا بلغ عدد المنكرين على أئمة الجور أربعين رجلاً، ويسمون هذا الحد "حد الشراء"؛ أي الذين اشتروا الجنة عندما باعوا أرواحهم، فعليهم وجوب الخروج حتى يموتوا، أو شظهر ديين الله، ويخمد الكفر والجور، ولا يحل عندهم المقام والقعود، غير ثائرين، إلا إذا نقص العدد عن ثلاثة رجال، فإن نقصوا عن الثلاثة جاز لهم القعود وكتمان العقيدة.

ويعبر الأشعري عن إجماع الخوارج على وجوب الثورة بقوله: إنهم متفقون على وجوب "إزالة أئمة الجور، ومنعهم أن يكون أئمة، بأي شيء قدروا عليه، السيف أو بغير السيف"^(٢).

(١) تفسير القرآن العظيم ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: كمال علي علي الجمال، القاهرة: دار التوزيع والنشر الطبعة الأولى، ج٤، ص: ٢٥٣.

(٢) مقالات الإسلاميين، الأشعري، ج١، ص: ٤.

ربناءً على ذلك تبين الخ سراج ويوالسون خلافة أبي بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وكذلك خلافة عثمان بن عفان قبل أن يحدث الأحداث التي جرت في السنوات الست الأخيرة من عهده، وأيضاً خلافة علي بن أبي طالب قبل القبول "بالتحكيم" ... أما سنوات عثمان رضي الله عنه - الأخيرة فإنهم ... منه فيها، وأما علي رضي الله عنه، بعد التحكيم، فإنهم يكفرونه بعضهم بكفره "كفر شرك" في الدين، وبعضهم يقول إنه "كفر نعمة" فقط، أي جحود للنعمة الإلهية المتمثلة في واجبات الخلافة على أمير المؤمنين، وهم يبدأون من حصوم علي - رضي الله عنه - سواء منهم أصحاب موقعه الجمل، أو معاوية بن أبي سفيان ومن ولاه.

منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسألة التكفير :

يرمي كثير من الباحثين والكتّاب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنها دعوة متطرفة تكفيرية وأنهم يكفرون جميع أهل القبلة، ويستبيحون قتل المسلمين، وقد رُديت هذا الاتهام في أوقات مختلفة. وإن كتب ورسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وكذا رسائل ومؤلفات أئمة وعلماء الدعوة، وأنصارها، قد بينت مسألة التكفير والقتال، وأعطت المسألة حقها من البيان الوافي، والتفصيل التام. ومع كل هذا البيان والتفصيل، لازالت الاتهامات توجه إلى الدعوة وأصحابها .

قال ابن عابدين الشامي في حاشيته (رد المختار): "كما وقع في زماننا في اتباع عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة، لكنهم اعتقدوا أنهم المسلمون وأن من خالفهم اعتقادهم مشركون استباحوا قتل أهل السنة وقتل علمائهم..... الخ"^(١).

ويقول ابن دحلان: "وسعى بالتكفير للأمة خاصها وعاملها وقاتلها على ذلك جملة إلا من وافقه على قوله"^(٢).

ويقول ابن عفالق عن الإمام في جوابه على رد ابن معمر: (وهذا الرجل كفر الأمة، بل والله وكذب الرسل، وحكم عليهم وعلى أممهم بالشرك)^٣.

ويقول ابن عفالق أيضاً - مخاطباً عثمان ابن معمر: (فجعلتم تكفير العترة النبوية، وسبهم، ولعنهم، أصلاً من أصول دينكم)^٤. ويستمر ابن عفالق منفراً ابن معمر عن الانتصار لهذه

(١) حاشية رد المختار، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي، تحقيق الناشر دار الفكر للطباعة ١٤٢١ هـ، ج٣، ص٢٠٩. أنظر: الرد على الوهابية، حمادي الرديسي وأسماء نورة، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.

(٢) فتنة الوهابية، السيد احمد بن زيني دحلان مكتبة الحقيقة، اسطنبول/ تركيا ١٤٢٢ هـ، بدون ط، ص٦٦.

(٣) جواب ابن عفالق على رسالة ابن معمر ص: ٥٨.

الدعوة السلفية، فيصف ابن عفالق الشيخ الإمام بأنه: (حلف يميناً بالله فاجرة أن اليهود والمشركين أحسن حالاً من هذه الأمة)^١.

ويخاطب المدعو محمد بن محمد القادري الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود - لما بلغته رسالة هذا الإمام -، فكان من خطابه هذا الإفك: (فإنك لو تدبرت فيه بعين بصيرتك واعتبرت بها، لما كنت تحكم على الأمة المحمدية بالشرك الأكبر، من غير برهان، وليس هذا إلا شفاوة وخسران وحرمان)^٢ (وبعض العلماء يسمون الدعوة الوهابية بـ (الدعوة الدموية))^٣. ويزعم أن الوهابيين (مصممون على أن من لم يكن وهابياً فهو مشرك، يجب هجرانه ولا يجوز التعامل معه فيما يخص الدين، أو الدنيا)^٤. ويكذب عليهم حين يقول: (الغاية التي يسعون إلى تحقيقها هي إثبات السنية لهم خاصة، وتكفير جماعة المسلمين من غيرهم)^٥.

من خلال النصوص السابقة يرى أصحابها بتطرف الخطاب السلفي الذي تبناه الشيخ محمد بن عبد الوهاب من خلال تهمة رمت الدعوة بها قديماً وحديثاً ومن باب الإنصاف وجب علينا بيان آراء الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذه المسائل.

أولاً: رأي الدعوة في مسألة التكفير بالعموم:

لقد بلغت هذه التهمة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -، فتعددت ردوده وأجوبته عليها، ولأن فرية تكفير المسلمين واستباحة دمائهم قد شاعت وذاعت في غالب بلاد المسلمين، وانتشرت انتشار النار في الهشيم، فقد حرص الشيخ - رحمه الله - على تأكيد هذه الردود، وإعلان براءته مما ألحق به، فأرسل هذه الردود إلى مختلف البلاد. فعلى النطاق المحلي في منطقة نجد، نلاحظ أن الشيخ قد بعث رسالة لأهل الرياض، ينفي تلك الفرية، يقول الشيخ الإمام رحمه الله:

(وقولكم إننا نكفر المسلمين، كيف تفعلون كذا، كيف تفعلون كذا. فإننا لم نكفر المسلمين، بل ما كفرنا إلا المشركين).^٦ ويبعث رسالة لمحمد بن عبيد أحد مطوعة ثرمداء، يقول فيها: (وأما ما ذكره الأعداء عني أنني أكفر بالظن، والموالات، أو أكفر

(١) - المرجع السابق ص: ٦٣.

(٢) - المرجع السابق ص ٦٥: ٦٦.

(٣) - الرد على الوهابية ص ٤.

(٤) - المرجع السابق ص ١٦.

(٥) - المرجع السابق ص ٢٠: ٢١.

(٦) - (زيادة معرفة آراء الخصوم في اتهام الشيخ بفرية التكفير انظر إلى: (حاشية ابن عابدين) ٢٦٠/٤. (حاشية الصاوي على الجلالين) ٣/٣٠٧، ٣٠٨. (كشف الارتباب) للعاملي ص ١١٤. (البراهين الجلية) للموسوي ص ٧١. (المعتقد المنتقد، ص ٢١٧. (المقالات الوفية) لخزبك ص ١٨٥، ١٨٨. (رسالة في الرد على الوهابية) للمحجوب ص ٤، ٥. (تاريخ المذاهب الإسلامية)، ١ / ٢٣٦ وغيرها.

٧ - مجموعة مؤلفات الشيخ، ج ٥، ص: ١٨٩.

الجاهل الذي لم تقم عاينه الحجة، فهذا بهتان عظيم، يريدون به تنفير الناس عن دين الله (ورسوله).^١ وفي رسالته لأهل القصيم، يشير رحمه الله إلى مفتريات ابن سحيم ويبريء نفسه من فرية تكفير المسلمين وقتلهم، يقول الشيخ الإمام: (والله يعلم أن الرجل افتري عليّ أموراً لم أقلها، ولم يأت أكثرها على بالي، فمنها قوله: أني أقول أن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وأنني أكفر من توسل بالصالحين، وأنني أكفر البوصيري، وأنني أكفر من حلف بغير الله.. جوابي عن هذه المسائل أن أقول سبحانهك هذا بهتان عظيم.)^(٢)

وفي كتاب الشيخ محمد "الفتوى والمسائل" يقول رداً على ذلك: "وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على أظهر دينه، وأنا نكفر من لم يكفر ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعافه أضعافه. فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصنّون به الناس عن دين الله ورسوله. وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على قبر عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالهم، لأجل جهلهم وعدم من ينهم فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا ولم يكفر ويقاتل (سبحانك هذا بهتان عظيم)"^٢.

ويقول أيضاً: "ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب ولا أخرجه من دائرة الإسلام، وارى الجهاد ماضياً مع كل إمام برأ كان أو فاجراً وصلاة الجماعة خلفهم جائزة"^(٣). ومن يدرس رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وخطبه في التوحيد والشرك يجد دعوته فيها مدعومة بالحجج القاطعة والبراهين وحسن الاستدلال والسير على منهج أهل السنة والجماعة واستدلاله بالكتاب والسنة.

وفي بيانه^(٤) للشرك وتعريفه ذكر له ثلاثة أنواع:

أولاً: الشرك الأكبر وهو: شرك العبادة والقصد والطاعة والمحبة.

فمن شرك العبادة قوله تعالى: "وقال المسيح بيني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار"^(٥).

ومن شرك النية والقصد: قوله تعالى: "من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون (١٥) أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون"^(٦).

^١ - المرجع السابق، ج ٥، ص: ٢٥.

^٢ - المرجع السابق، ج ٥، ص: ١١، ١٢.

(٣) الدرر السنية، ج ١، ص: ١١.

(٤) مؤلفات الشيخ، ج ١، ص ٣٧١-٣٨٠.

(٥) سورة المائدة، آية: ٧٢.

ومن شرك الطاعة: قوله تعالى: "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا الهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون" (٢).
ثانياً: شرك أصغر وهو: الياء لقوله صلى الله عليه وسلم- في حديث رواه الحاكم: "ليسر في الرياء شرك".

ثالثاً: شرك خفي: قد يقع فيه المؤمن وهو لا يعلم، كما قال صلى الله عليه وسلم-: "الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل". انتهى كلامه رحمه الله.

ف نجد هنا أن الخطاب السلفي المتمثل بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب يميز بين ما هو شرك أكبر وشرك أصغر وشرك مخرج من الملة وشرك غير مخرج من الملة، وهذا دليل على حرص هذا الخطاب من الوقوع في تكفير الناس بالجملة . وتهمت هذا الخطاب بالتكفير مبنية على غير أساس فالشيخ يكفر من يكفره القرآن والسنة والتركيز على مسألة التوحيد وبيان حد الكفر والإيمان فيها مسألة مهمة في الفكر الإسلامي بشكل عام فكل الشريعة مبنية على مسألة التوحيد .

ونذكر - هنا - أن ما قررته الدعوة في مسألة نواقض الإسلام، وأنواع المكفرات التي توجب على مرتكبها الخروج والانسلاخ عن دين الإسلام، أن هذا التقرير ليس بدعاً من عند أنفسهم، وإنما كان ذلك اتباعاً لنصوص القرآن الكريم، ونصوص السنة النبوية الصحيحة، والتزاماً بأقوال الصحابة والتابعين وعلماء الأمة المعبرين من المذاهب الأربعة (٣).

ثانياً: الأصول التي اعتمد عليها الخطاب السلفي عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب: يقرر الشيخ لمنهجه أصول اعتمد عليها لبناء هذه المدرسة الفكرية العريقة لضبط حركتها أبعادها عن الإفراط أو الغلو فيقول الشيخ "هذه أربع قواعد من قواعد الدين التي تدور الأحكام عليها وهي من أعظم ما أنعم الله به على محمد صلى الله عليه وسلم- وأمته حيث جعل دينهم كاملاً راقياً....".

(١) سورة هود، الآية: ١٥-١٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣١.

(٣) انظر: بيان ذلك فيما ذكره الشيخ الإمام في رسالته المسماة (مفيد المستفيد) (مجموعة مؤلفات الشيخ م ٥ ص: ٣٠٤ وما كتبه الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في رسالته النفيسة (الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة) (مجموعة التوحيد ص ٢٨١ - ٣٣٢). وغيرهما من رسائل أئمة الدعوة .

القاعدة الأولى: تحريم القول على الله بلا علم، لقوله تعالى: "قل غنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وام بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون"^(١).

القاعدة الثانية: أن كل شيء سكت عنه الشارع فهو عفو لا يحل لأحد أن يحرمه أو يوجبه أو يستحبه أو يكرهه، لقوله تعالى: "يا أيها الذين ءامنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وأن تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور رحيم"^(٢).

القاعدة الثانية: أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ كالزاحفة والخوارج، قال تعالى: "فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله"^(٣).

والواجب على المسلم اتباع المحكم، فإنه عرف معنى المتشابه وحده لا يخالف المحكم بل يوافقه، وإلا فالواجب عليه اتباع الراسخين في العلم في قولهم "ءامنا به كل من عند ربنا"^(٤).

القاعدة الرابعة: أن النبي صلى الله عليه وسلم- ذكر أن "الحلال بيّن وأن الحرام بيّن وبينهما أمور متشابها"^(٥).

فهذه أربع قواعد ثلاث ذكرها الله في كتابه والرابعة ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم-^(٦) وهي واضحة في بيان مسلك الشيخ نحو الكتاب والسنة فهل يعقل بعد هذا أن يُرمى هذا الخطاب بالتعصب والهوى.

ثالثاً: التجديد الفكري الإصلاحي في الخطاب السلفي :

كانت دعوة الشيخ أول رد فعل ديني على مفاصد المجتمع العربي في العصور الحديثة. وكانت بمثابة مرحلة الانتقال من حال الجمود والدعوة النظرية إلى التطبيق العلمي في العصر الحديث^٧، ونادى بالاجتهاد^٨ وعدم التقيد بالمذاهب القديمة، وضرورة العودة إلى

(١) الأعراف، آية: ٣٣.

(٢) المائدة، آية: ١٠١.

(٣) آل عمران، آية: ٧.

(٤) آل عمران، آية: ٧.

(٥) رواه البخاري في كتاب الإيمان، ١/١٢٦، حديث رقم ٥٢.

(٦) الدرر السنية، ج ٤، ص: ١.

(٧) د. محمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص ١٠، وانظر: علي المحافظة، الإتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، ص ٣٩.

(٨) كلمة اجتهاد تعني في اللغة استفراغ الوسع في تحصيل أمر من الأمور مستلزم للكلفة والمشقة، وفي الاصطلاح استفراغ الفقيه الوسع في تحصيل ظن بحكم شرعي. وأن الاجتهاد هو النظر في الأدلة الشرعية التي من الكتاب والسنة والإجماع والقياس بمعرفة أحكام الفروع التي تثبت بالأدلة القطعية المتواترة. والعمدة في شروطه فهم الكتاب والسنة ومعرفة مقاصد الشرع، والوقوف على أحوال الناس

العلماء، بالكتاب والسنة، سار على منوالها كثير من الدعوات السلفية وتأثروا بها.^١ تقوم الدعوة الوهابية على العودة بالإسلام إلى صفائه الأول ذلك أن العقيدة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم - وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم - كانت صفة نقية. فكانت مصدراً لعظمتهم ومبعثاً لانتصاراتهم وفتوحاتهم الواسعة. فلما تدنت هذه العقيدة إلى مستوى الشرك أصابهم الذل الذي أدى إلى الانحلال والفساد. ومن هنا رد ابن عبد الوهاب ضعف المسلمين وتأخرهم إلى ضعف عقيدتهم. ورأى الحل في العودة إلى القرآن الكريم والسنة النبوية، واعتبر ما عداهما أو خالفهما مصدراً للبدع الداخلة على الإسلام.^٢

ففي كتابه (التوحيد) يقع اختياره على الآيات والأحاديث التي تحض على التوحيد الخالص، والدعوة إلى تأكيد فكرة الألوهية وضرورة هيمنتها على كل ما عداها. لا سيما في الأبواب التي قسم إليها كتابه. ففي باب (ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم، جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك) يأتي بكافة النصوص المؤيدة لهذا المعنى.^٣ ويؤكد على التوحيد بقوله في رسالة "كشف الشبهات": "لا خلاف أن التوحيد لا بد أن يكون بالقلب واللسان والعمل".^٤

ويعتبر هذا الخطاب السلفي الذي تتبناه دعوة الشيخ منهجاً تجديدياً في العصر الذي ظهرت فيه الدعوة ولا أقصد التجديد على العقيدة فمن المعلوم بالضرورة في دين الإسلام أن أصول عقائده ثابتة لا تتغير ولا يمكن أن تتعرف إلى النظر والتأويل لقضية دلالة الأدلة عليها في القرآن والسنة وإجماع الأمة، كالإيمان بالله تعالى وبوحدانيته والإيمان بالنبوات وختم النبوة والإيمان باليوم الآخر. فالقول بتجديدها أمر غير وارد نقلاً وعقلاً. ولكن تلك العقائد قد تبنى عليها وعلى ما يتفرع منها من عقائد فرعية في فترة معينة منظومة من الأفكار البشرية هي التي تحتاج إلى المواجهة والتصفية، وتجليه العقائد من تأثيراتها السيئة، وانحرافات الخطيرة.

وعاداتهم لأن الأحكام الشرعية ولا سيما المعاملات منها دائرة على مصالح الناس في معاشهم ومعادهم، أي على قاعدة درء المفساد وجلب المنافع. انظر: محمد رشيد رضا، الوحدة الإسلامية (القاهرة: دار المنار، ط ١٣٦٧هـ) ص ١٢٠-١٢٢.

(١) د. مصطفى حلمي، التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث (الإسكندرية: دار الدعوة، ١٩٨٣م) ص ١٩٠.

(٢) علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، ص ٤٠.

(٣) د. مصطفى حلمي، التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث، ص ١٩٦.

(٤) حسين بن غنام، تاريخ نجد تحقيق: ناصر الدين الأسدي (القاهرة: مطبعة المدني، ط ١، ١٩٦١م) ص ٢٥٠.

(٥) انظر: تجديد الفكر الإسلامي، محسن عبد الحميد، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٤م. انظر كذلك: الدعوة الوهابية وإثرها في الفكر الإسلامي الحديث، محمد كامل ضار، دار السلام للنشر، القاهرة: الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

وهذا ما تمثل بواقع نجد إبان ظهور دعوة الشيخ إذ فشا في نجد -كما أسلفنا سابقاً- وغيرها الاعتقاد بالأشجار والحجار والطيور والبناء عليها والتبرك والنذور لها وزيادة ذلك فقد انتشر السحر والكهانة وسؤالهم وتصديقهم.

أمام هذا الواقع اعتقد الشيخ تبعاً لما هو ثابت في دين الإسلام بالضرورة أنه لا بد للمسلمين من إن يعودوا إلى الكتاب والسنة ويتحاكموا إليهما ولا يتحاكموا إلى الأقوال المخالفة لهما، لأن فيها الحجة ولا حجة في غيرها، وأعتقد كذلك بأن المسلمين في زمانه، لا سيما في الجزيرة العربية قد غزت حياتهم مظاهر كثيرة مخالفة لهما، متناقضة مع العقائد الصريحة المقررة فيهما، ولذلك دعا إلى التجديد في تطهير العقائد والسلوك الفردي والجماعي من كل ما يخالفهما ونبذ كل قول أو فعل يصطدم معهما، كائناً من كان قائله وانطلاقاً من ذلك التوحيد الحق، أنكر الشيخ البدع المتنوعة التي صاغت عقلية مسلمي زمانه صياغة خرافية أسلمتهم إلى الانحرافات التي أفسدت عليهم عقيدتهم الإسلامية الصافية متصدي لها وصرح بمخالفتها للكتاب والسنة^(١).

ولم يقف هذا الخطاب عند هذا الحد من القدر، بل سار على طريقة سلف علماء الأمة كابن تيمية وابن القيم وإصرارهما في الدعوة إلى ترك التعصب للرأي والمذهب والعودة إلى التمسك بدليل الكتاب والسنة والبحث المستقل وطلب الدليل. ووصل به الأمر إلى أنه جعل التعصب للمذهب من المسائل الجاهلية، واستتبط ذلك من قوله تعالى: "إلا لمن تبع دينكم"^(٢).

لقد استطاع الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يكون مجدداً على ساحة الفكر الإسلامي لما تميز به خطابه من الاعتدال واقتفاء (آراء العلماء)* في كل المسائل التي كان يعرضها، واستطاع بحركته وفكره أن ينشر خصائص التوحيد في أرجاء الجزيرة العربية وخارجها^٣، وأنقذ المسلمين في تلك البقاع من أنواع الشرك التي كانت تكرر

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والاقتناء والدعوة والارشاد، الرياض: المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣/١٩٨٣م ببيون ط، ص: ١٧٧.

(٢) آل عمران، الآية: ٧٣.

* ينظر منهج ابن تيمية في مسألة التكفير، عبد المجيد بن سالم بن عبد الله المشعبي، مكتبة اضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤١٨/١٩٩٧م.

(٣)- ومن الذين تأثروا بأفكار الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإمام محمد عبده في ضرورة نبذ العناصر الدخيلة على الإسلام من الخارج من مظاهر الشعوذة والبدع^٤، ورفض أوضاع المسلمين القائمة في عصره، ونادى بالاجتهاد^٥ وعدم التقييد بالمذاهب القديمة، وضرورة العودة إلى العمل بالكتاب والسنة. وكان الشيخ الإمام محمد عبده يثني على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويلقبه "بالمصلح العظيم" ويلقي تعثر دعوته الإصلاحية على الحملة التي قادها الأتراك ومحمد علي ضدها في محاولة لتحطيمها قبل أن يستفحل خطرهما على الدولة العثمانية، وقد رد الإمام محمد عبده هذا الرأي في محاضراته بالأزهر الشريف، وسجله تلميذه الشيخ حافظ وهبه في كتابه "خمسون عاما في جزيرة العرب". انظر: أمين السعيد: سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٩٢هـ - انظر: د. مصطفى حلمي، التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث.

صفاء إيمانهم وأنشأ مدرسة ربانية في قلب الصحراء خرجت من العلماء والدارسين المنكبين على دراسة الكتاب والسنة.

وإذا التفطنا إلى تقويم حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فلا شك عند المحققين أن حركة تنقية العقائد الإسلامية من الآراء الزائفة والانحرافات الخطيرة كانت ضرورة عقدية، لإرجاع الوضوح إلى عقيدة المسلم وإنقاذه من النظريات الدخيلة. سواء تلك التي دخلت في الفلسفة وعلم الكلام أو التي نفذت إلى النظريات الفلسفية الاشرافية الصوفية التي قيدت حركة الإنسان وطبيعتها بطابع السلبي والهروب من صراعات الحياة المتنوعة، وأعدت هذه الحركة الجزيرة إلى آراء ابن تيمية وابن القيم واجتهاداتهما في العصور الحديثة التي استفادت منها فوائد عظيمة.

وإن إنقاذ العقائد الإسلامية من الاتجاهات الخرافية وتعقيدات علم الكلام، كان مقدمة لا بد منها للدخول في عالم الشهادة وتسخير ما فيه لبناء الحضارة الإسلامية الحديثة.

المبحث الثالث:

العلاقة بين السلطة والدعوة

إذا كان الخوارج قد أطلقوا العنان في تكفير الحكام وشنوا حرباً على كل الحكام في زمانهم، فإن حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على العكس من ذلك فلقد أعمل منهم أهل السنة والجماعة في التعامل مع الحاكم المسلم.

يقول الشيخ في الدرر السنية "وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين برهم وفاجرهم ما لم يأمرُوا بمعصية الله، ومن ولى الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته، وحرّم الخروج عليه، وأرى هجر أهل البدع ومببنتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالظاهر وأكل سرائرهم إلى الله، وأعتقد أن كل محدث في الدين بدعة"^(١).

لم يكتفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالتنظير لذلك بل عمل على التعاون مع السلطات السياسية من خلال مسيرة الدعوة حيث تعتبر القوة السياسية من أكبر العوامل المساعدة على نجاح الدعوة الدينية، وذلك أن القوة السياسية تعتبر بالنسبة للدعوة الدينية الحصن الذي يحميها من أعدائها، والماوى الذي تمارس فيه الدعوة نشاطها بأمن وطمأنينة، كما أن القوة السياسية تضمن للدعوة وأتباعها المكان الذي يستقرون فيه، والذي من خلاله يقومون بنشرها في الأماكن القريبة والبعيدة منها.

(١) الدرر السنية، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس الرسائل الشخصية، ضمن منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج ١، ص: ٢٨-٣١.

لذلك نجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقرر الانتقال من حريملاء إلى بلدة تكون القوة السياسية فيها_ والتي تتمثل بالرئيس الذي يخضع له الجميع بالسمع والطاعة- هي بالسيطرة على أحوال البلدة الداخلية والخارجية، وكانت هذه القوة متمثلة بحاكم العينية عثمان بن معمر.

اتصال الشيخ محمد بن عبد الوهاب بحاكم العينية :

لما كانت العينية تمتاز عن باقي بلدان نجد، بات الحكم فيها مستقر، وأيضاً أكبر قاعدة في نجد في ذلك الوقت -كما أنها مسقط رأس الشيخ محمد، فيها ولد ونشأ، وبالتالي فهو يعرف أهلها أكثر من معرفته لغيرهم من بلدان نجد، فقد قرر الشيخ الانتقال إليها، وإعلان دعوته فيها إذا سمح به رئيسها بذلك.

كان حاكم العينية عندما قدم الشيخ محمد إليها، عثمان بن حمد ابن معمر ١١٤٢هـ- ١١٦٣هـ. وقد تلقى الشيخ بالقبول والإكرام، ثم عرض عليه الشيخ دعوته، وطلب منه الوقوف إلى جانبه ونصره وقال له "إني أرجو إن أنت قمت بنصر لا إله إلا الله أن يظهر الله وتملك نجداً وأعرابها"^(١).

فرضي بدعوته، فأعلن تبعيته له، وناصره، وفرض على أهل العينية أن يمثلوا أمره، فبدأ الشيخ دعوته فيها، وأخذ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر^(٢). ولما شرع الشيخ في تطبيق تعاليم الإسلام في العينية وما جاورها، انتقلت أخباره وشاعت في بلدان نجد والحجاز، والإحساء والبصرة، عن طريق المعارضين للدعوة، أرسل حاكم الإحساء سليمان بن محمد بن غرير مستجيب لطلب المعارضين للدعوة في نجد ، عندما قالوا له عن هذا الشيخ محمد يريد أن يخرجكم من ملككم ويسعى في قطع ما أنتم عليه من الأمور، ويبطل العشور والكسور، فأرسل إلى أمير العينية يأمره بقتل الشيخ أو اجلائته، ونتيجة لهذا التهديد أذن عثمان بن معمر لطلب حاكم الإحساء ، لذلك طلب من الشيخ الرحيل إلى بلدة يريد بها، فقرر الرحيل إلى الدرعية .

اتصال الشيخ بحاكم الدرعية الأمير محمد بن سعود :

فعندما ترك الشيخ العينية وخرج منها إلى الدرعية في سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م فلما وصل إليها رحب به أميرها (محمد بن سعود) وقال له: "أبشر ببلاد خير من بلادك وبالعزيز والمنعة". فقال له الشيخ: وأنا أبشرك بالعزيز والتمكين والنصر المبين، وهذه كلمة

(١) ابن بشر، عثمان بن عبد الله النجدي الحنبلي، عنوان المجلد في تاريخ نجد، ج ١، الطبعة الرابعة، دار الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، تحقيق عبد الرحمن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ص ٣٨.

(٢) ابن غنام، حسين بن غنام/ تاريخ نجد المسمى "روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام" ج ١، الطبعة ٣، شركة الصفحات الذهبية المحدودة، الرياض، ١٤٠٣هـ، تحقيق ناصر الدين الأسد، ص ٧٨.

التوحيد التي دعت إليها الرسل كلهم، فمن تمسك بها، وعمل بها، ونصرها ملك بها البلاد والعباد، وأنت ترى نجداً كلها وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل، والفرقة والاختلاف وقتال بعضهم بعضاً، فأرجوا أن تكون إماماً يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك" (١). ثم بدأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب يعلم الأمير محمد بن سعود بما كان عليه الرسول -صلى الله عليه وسلم- وصحابته من بعده، وقارئها بما عليه أهل نجد في زمنه من الشرك بالله، والبدع، والاختلاف، والظلم. ولما تحقق الأمير مما يدعو إليه الشيخ بايعه على دين الله ورسوله والجهاد في سبيله، وإقامة شرائع الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فتم بينهما ما يُعرف تاريخياً باسم "اتفاق الدرعية" سنة ١١٥٧هـ/١٧٤٤م (٢).

فكان نتيجة لهذا التآخي بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية، إذ أصبح نظام الحكم في السعودية بحمد الله، مضرب المثل في العدل والأمن والاستقرار، بسبب إقامته للحدود الإسلامية، وكل ميزات الحكم الصالح والتي لا تجدّها متوفرة في مكان ما من أرض الله .

وأما في مواجهة الأحداث وألوان الحياة المختلفة، فإن السعودية تكاد تكون الدولة الإسلامية الوحيدة التي استطاعت أن تنتفع بما يستجد من ألوان الحضارة، ودون أن تذوب فيها كما فعلت دول إسلامية كثيرة.

بل أنها وقفت منها موقف المسلم الذي يعرف كيف يستفيد مما عند الآخرين، دون أن يضر ذلك دينه أو بأخلاقه أو بعبادته.

واستطاعت الدعوة الوهابية أن تخلق الموائمة بذلك بين التنظيم وبين التطبيق العملي، بل لا نعرف حركة إسلامية استطاعت أن تخلق هذا النوع من الموائمة كما فعلت حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد كانت أمينة على مبادئها وملزمة بها في مجال التطبيق العملي، ولعل هذا هو الذي ضمن لها البقاء والرسوخ، فقد أصبحت منهج فكر ورسوخ وخطة حياة، ولم يكن المجال الفكري في دعوة الشيخ مجال القراءة والترديد، كما تفعل الحركات العقلية والتجريدية التي لم تستطع أن تنتقل من التنظير إلى التطبيق العملي وإقامة دولة تعمل بتلك الأفكار.

بل حمل هذه الدعوة علماء لهم وزنهم في رجاحة الفكر وفصاحة القول وجودة التأليف وكانوا الأماناء عليها من أبناء وأحفاده وتلامذته وأنصاره في أصقاع الدنيا، وكان الحكم في أرض الحرمين من ورثهم يشد أزهم ويحوط حركتهم، وكان هذا من لطيف صنع الله لهذه الدعوة، أن جمع لها القلم واللسان والسيف، فأنت أكلها، ومضت إلى غايتها قدماً، لا يعوقها استبداد حاكم ولا عسف سلطان.

(١) ابن بشر، ص (٤٢).
(٢) المصدر السابق، ص (٤٣).

وأخيراً يرى الباحث أن أي دعوة لا يوافقها تطبيق عملي هي دعوة عقيمة لم تنتقل من التنظير إلى التطبيق، لذلك نجد النجاح الذي حققته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما وبالمقابل نجد الفشل الذي حققته الخوارج والفرق التكفيرية قديماً وحديثاً فلم تزد حروب الخوارج وحملهم السيف على أئمة المسلمين وعامتهم إلا ضعف للأمة الإسلامية في زمن كانت الأمة أحوج ما يكون إلى تلك الطاقات التي بُدِدت في تكفير المسلمين وقتالهم.

الخاتمة والنتائج

في ختام هذه الدراسة عن الخطاب السلفي الوسطي المتمثل بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والخطاب المتطرف المتمثل بالخوارج أود توضيح ما توصلت إليه الدراسة من نتائج

أولاً : من خلال التعريف بالخوارج عرفنا أنها خرجت في الإطار السياسي من خلال الخلاف في مسألة الإمامة والتي لا تعتبر مسألة عقيدة يكفر من يخالفها.
ثانياً : كان انشقاق الخوارج على عهد خلافة علي بن أبي طالب سنة ٣٧ هـ ، نقطة تحول في الماهية والطبيعة التي أضيفت على الصراعات التي حفلت بها حياة العرب المسلمين. فهم لم ينفقوا بخلافهم مع خصومهم عند الحدود السياسية، بل أضفوا عليها طابعاً من الدين، وذلك عندما زعموا أنهم هم المؤمنون، وأن من عداهم قد مرق من الدين مروق السهم من قوسه!...

ثالثاً : نستطيع أن نقول أنه عند الخوارج وبالخوارج انتقل الخلاف الفرعي السياسي إلى مستوى الخلاف الأصولي العقدي، وبذل من أن يراه في إطار "الخطأ" وضعه في إطار الخطيئة فلم يكتف بالمعارضة السياسية وإنما أعلنوا رفضهم للصلاة خلف علي رضي الله عنه .

رابعاً : الظروف والملابسات لكل من الخطابين مختلفة كل الاختلاف فمرحلة الخلافة الإسلامية بزمان عثمان بن عفان كانت خلافة راشدة محافظة على أصول الإسلام وفروعه ولا يخلو الأمر من الخلاف السياسي الذي نشب بعد مقتل عثمان رضي الله عنه-، ولكن أصول الإسلام كانت مصانة إذ لم يظهر في الأمة ما يرجعها إلى حظيرة الشرك كما في إبان ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. إذ المرحلة الزمنية والظروف والملابسات في زمن ظهور الخوارج لم تستدعي استخدام لغة التكفير بل

استغل الخطاب التكفيري لدعم القضايا السياسية في تلك الفترة وحشدت النصوص والأقوال من أجل ذلك

خامساً : أن الخطاب السلفي المتمثل بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب يميز بين ما هو شرك أكبر وشرك أصغر وشرك مخرج من الملة وشرك غير مخرج من الملة، وهذا دليل على حرص هذا الخطاب من الوقوع في تكفير الناس بالجملة . وتهمة هذا الخطاب بالتكفير مبنية على غير أساس فالشيخ يكفر ما يكفره القرآن والسنة والتركيز على مسألة التوحيد وبيان حد الكفر والإيمان فيها مسألة مهمة في الفكر الإسلامي بشكل عام فكل الشريعة مبنية على مسألة التوحيد .

سادساً : يعتبر الخطاب السلفي الذي تتبناه دعوة الشيخ منهجاً تجديدياً في العصر الذي ظهرت فيه الدعوة ولا أقصد التجديد على العقيدة فمن المعلوم بالضرورة في دين الإسلام أن أصول عقائده ثابتة لا تتغير ولا يمكن أن تتعرف إلى النظر والتأويل لقطيعة دلالة الأدلة عليها في القرآن والسنة وإجماع الأمة، كالإيمان بالله تعالى وبوحدانيته والإيمان بالنبوات وختم النبوة والإيمان باليوم الآخر. فالقول بتجديدها أمر غير وارد نقلاً وعقلاً. ولكن تلك العقائد قد تبنى عليها وعلى ما يتفرع منها من عقائد فرعية في فترة معينة منظومة من الأفكار البشرية هي التي تحتاج إلى المواجهة والتصفية، وتجلية العقائد من تأثيراتها السيئة، وانحرافات الخطيرة.

سابعاً : كانت نتيجة التأخي بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والدولة السعودية، إذ أصبح نظام الحكم في السعودية، مضرب المثل في العدل والأمن والاستقرار، بسبب إقامته للحدود الإسلامية، وكل ميزات الحكم الصالح والتي لا تجدها متوفرة في مكان ما من أرض الله .

ثامناً : لقد استطاع الشيخ محمد بن عبد الوهاب أن يكون مجدداً على ساحة الفكر الإسلامي لما تميز به خطابه من الاعتدال واقتفاء (آراء العلماء) في كل المسائل التي كان يعرضها، واستطاع بحركته وفكره أن ينشر خصائص التوحيد في أرجاء الجزيرة العربية وأنقذ المسلمين في تلك البقاع من أنواع الشرك التي كانت تكدر صفاء إيمانهم وأنشأ مدرسة ربانية في قلب الصحراء خرجت من العلماء والدارسين المنكبين على دراسة الكتاب والسنة.

تاسعاً : إذا كان الخوارج قد أطلقوا العنان في تكفير الحاكم وشنوا حرباً على كل الحكام في زمانهم، فإن حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على العكس من ذلك فلقد أعملت منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع الحاكم المسلم.

تاسعاً : وأخيراً ترى الدراسة أن أي دعوة لا يوافقها تطبيق عملي هي دعوة عقيمة إذا لم تنتقل من التنظير إلى التطبيق، لذلك نجد النجاح الذي حققته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما ذكرنا، وبالمقابل نجد الفشل الذي حققته الخوارج فلم تزد حروب الخوارج

وحملهم السيف على أئمة المسلمين، وعاتتهم إلا ضعف للأمة الإسلامية في زمن كانت الأمة أحوج ما يكون إلى تلك الطاقات التي بُدّدت في تكفير المسلمين وقتالهم.

التوصيات :

(١) الاهتمام بنشر تراث السلف الصالح، في سائر بلاد المسلمين، وعلى مختلف المستويات الثقافية، واختيار الرسائل والمؤلفات التي توضح عقيدة أهل السنة والجماعة ووسطية منهجهم ومعتقدهم

(٢) نشر مؤلفات الشيخ الإمام التي توضح معتقده مثل (كتاب التوحيد) و (الأصول الثلاثة) وغيرهما، وكذلك نشر الرسائل الجامعة لأئمة الدعوة في نجد، والتي توضح معتقدهم ومنهجهم، كما فعل الشيخ سليمان بن سحمان - رحمه الله - حين جمع بعض الرسائل الهامة في كتاب سماه (الهدية السنية) وهو خمس رسائل لكبار أئمة نجد وعلمائها. وترجمة هذا التراث النفيس إلى أشهر اللغات العالمية.

(٣) إبراز الجوانب الدعوية عند الشيخ الإمام، وكذا أئمة الدعوة من بعده، وبيان ما كان عليه الشيخ وأتباعه من فقه للدعوة، وإدراك لأساليبها المناسبة.

(٤) فتح باب الحوار والمناقشة مع العلماء وطلبة العلم، ودعوتهم إلى التجرد والإنصاف، واتباع الحق أينما دار وتحرير أفكارهم من تبعية حملات التشويه والتضليل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المراجع والمصادر

- القرآن الكريم
- ابن بشر، عثمان بن عبد الله النجدي الحنبلي، عنوان المجلد في تاريخ نجد، ج ١، الطبعة الرابعة، دار الملك عبد العزيز، الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، تحقيق عبد الرحمن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ .
- ابن غنام، حسين بن غنام/ تاريخ نجد المسمى "روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام"، الطبعة الثالثة، شركة الصفحات الذهبية المحدودة، الرياض، ١٤٠٣هـ، تحقيق ناصر الدين الأسد

- البخاري، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإمام أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، كتاب الجهاد، دار التقوى للتراث، بدون ط .
- أزمة الفكر الإسلامي الحديث، محمد عمارة، دمشق: دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- تاريخ الأمم والملوك، الطبري، طبعه دار المعارف/ القاهرة .
- تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقيدة وتاريخ المذاهب الفقهية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي بيروت، بدون ط .
- تجديد الفكر الإسلامي، محسن عبد الحميد، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٤ م .
- التصوف والاتجاه السلفي في العصر الحديث د. مصطفى حلمي، (الإسكندرية: دار الدعوة، ١٩٨٣ م .
- تفسير القرآن العظيم ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل ابن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق: كمال علي علي الجمال ، القاهرة: دار التوزيع والنشر الطبعة الأولى .
- الثورة الوهابية، عبد الله الفطيمي، المطبعة ال....، مصر: ٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م.
- حاشية رد المختار، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي ، تحقيق الناشر دار الفكر للطباعة ١٤٢١ هـ ،
- الدرر السنية، ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس الرسائل الشخصية، ضمن منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج ١، ص: ٢٨-٣١. "الحركة الوهابية بين المجال النظري والتطبيق العملي".
- الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث، محمد كامل ضاهر، دار السلام للنشر، القاهرة: الطبعة الأولى ١٩٩٣ م .
- الدولة السعودية الأولى، عبد الرحيم عبد الرحمن، ص ٢٦. نجد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب، عبد الله الصالح العثيمين، مجلة الدارة العدد ٤، السنة الأولى، ذو الحجة ١٣٩٥ ديسمبر ١٩٧٥ م .
- رد المختار، ج ٣، ص ٢٠٩. أنظر : الرد على الوهابية، حمادي الرديسي وأسماء نورة، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م .
- الرد على الوهابية، حمادي الرديسي وأسماء نورة، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨ م .
- سيرة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أمين السعيد، الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٩٢ هـ .
- الضياء الشارق: الشيخ سليمان بن سحيمان، القاهرة: مطبعة المنار ، الطبعة الثانية
- الطبقات الكبرى المسماة بلوا قح الأنوار في طبقات الأخيار، عبدا لوهاب الشعراني، القاهرة مكتبة محمد علي صبيح ، بدون طبعة .

- الطبقات الكبرى المسماة بلوائح الأنوار فى طبقات الأخبار، عبد الوهاب الشعراني، القاهرة: مكتبة محمد علي صبيح ، بدون طبعة .
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ج ١، بيروت: دار الفكر ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، بدون طبعة .
- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، الرياض: المملكة العربية السعودية ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، بدون ط، ص: ١٧٧.
- فتنة الوهابية، السيد احمد بن زيني دحلان مكتبة الحقيقة، اسطنبول/ تركيا ١٤٢٢هـ، بدون ط.
- الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعارف بيروت، بدون ط .
- الفصل في الملبل والأهواء والنحل، ابن حزم، الامام ابو محمد علي الظاهري، تحقيق: د. محمد ابراهيم نصر، دار عكاظ : المملكة العربية السعودية. الطبعة الاولى. عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .
- فلسفة علم الكلام، محمد بن عبد الحميد القطاونة، رسالة دكتوراة، ماليزيا
- لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، حسين بن جمال بن أحمد الريكي، تحقيق: عبدا لله الصالح العثيمين، المملكة العربية السعودية: دار الملك عبد العزيز للنشر، ١٤٢٦هـ.
- مجموعة كتب ورسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية ، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م، بدون ط .
- محمد رشيد رضا، الوحدة الإسلامية، القاهرة: دار المنار، ط٣، ١٣٦٧هـ .
- مقالات الإسلاميين، الأشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل ،تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٦٩م .
- المقدمة، ابن خلدون ، طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢هـ.
- الملل والنحل، الشهرستاني، الإمام أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، تحقيق : عبد العزيز محمد الوكيل ، دار الفكر بيروت .
- منهج ابن تيمية في مسألة التكفير، عبد المجيد بن سالم بن عبد الله المشعبي، مكتبة أضواء السلف، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.